



أثر الشيخ الندوي في الأدب الإسلامي

لم تحظ مجلة «الأدب الإسلامي» الفصلية، التي يصدرها مكتب البلاد العربية إلا بكلمتين لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي - رحمه الله تعالى - نشرت أولهما في العدد الأول تحت عنوان «طليعة خير وبركة» [ص ٣]، ونشرت ثانيتهما في العدد الخاص المزدوج، الذي صدر عن رائد القصة الإسلامية الأديب الدكتور نجيب الكيلاني - رحمه الله تعالى - [ص ٣].

أما مجلة «المشكاة» المغربية، التي يرأس تحريرها الدكتور حسن الأمراني فقد نشرت له موضوعا في العدد السابع تحت عنوان «لمحة عن المدرسة الأدبية الإسلامية الهندية» [ص ٨٨]، ثم نشرت له في العدد الثامن موضوعا تحت عنوان: «اليقظة الإسلامية وارتباطها بموقف الأتراك من الحرب العالمية» [ص ٩]. ثم نشرت له بحثا في العدد الحادي عشر بعنوان: «نظرة جديدة إلى التراث» [ص ٣]. ثم نشرت له بحثا في العدد الثالث عشر عن أدب الأطفال [ص ٣٢] لكن أيا من هذه المواد لم يكتب لمجلة المشكاة خاصة.

فالبحث الأول منشور في كتابه: «نظرات في الأدب» [ص ٢١]. والبحث الثاني منشور في «ملحق الأدب الإسلامي» الذي كانت تصدره صحيفة «الرائد» الهندية [ص ٤].

أما الثالث فقد كان قدمه إلى مجمع اللغة العربية في دمشق، حينما اختير عضوا مراسلا له، ونشر في كتابه: «نظرات في الأدب» [ص ٢١] أما الرابع فهو الكلمة التي ألقاها في المؤتمر الثاني لرابطة الأدب الإسلامي العالمية الذي كان منعقدا بمدينة استانبول في تركيا، يوم الثلاثاء ١٣ محرم سنة ١٤١٠ هـ. [المشكاة ع ١٣ ص ٣٢ - ٣٨].

حتى الحوار الذي نشرته المجلة نفسها، والذي أجراه معه الأديب التركي الأستاذ رسول طوسون رئيس التحرير السابق لمجلة الأدب الإسلامي التركية، والذي نشر في العدد «١٤» [ص ١١٩ - ١٢٧] لم يكن خاصا بمجلة المشكاة.

لكن ملحق «الرائد» الهندية الذي كان ينشر في بدايته تحت عنوان: «الرائد - ملحق الأدب الإسلامي»، وكانت كلمة «الرائد» تكتب بالبنبسط الكبير، فهو العنوان الرئيسي، ثم يكتب «ملحق الأدب الإسلامي» ببنط صغيرة، غير ثابت الحجم والمكان، ثم تحول إلى «ملحق الرائد عن الأدب الإسلامي»، ثم «ملحق الرائد - الأدب الإسلامي» وصاحب ذلك تصغير حجم كلمة «ملحق الرائد» وتكبير حجم «الأدب الإسلامي» من عدد إلى عدد، ثم صار العنوان الرئيسي «الأدب الإسلامي» بالحجم الكبير، وتحتها «ملحق الرائد للأدب الإسلامي» بحجم صغير، وكان ذلك في العدد الذي يحمل أرقام [٢٨ - ٢٩ - ٣٠]، وظل الحال على هذا حتى صدرت مجلة «الأدب الإسلامي» عن مكتب البلاد العربية، فتوقف هذا الملحق عن الصدور بعد العدد الأخير [ربيع الثاني - جمادى الأولى - جمادى الثانية - رجب المرجب سنة ١٤١٤ هـ].

أقول: لكن هذا الملحق قد نشر قدرا كبيرا من المقالات والكلمات لسماحته رحمه الله تعالى، ولم تكن هذه الكلمات مكتوبة لهذا الملحق خاصة، فالشرفون عليه هم الذين كانوا يختارون هذه الكلمات، وينشرونها فيه، وبعضها كان تلخيصا لكلمة ألقاها في مكان ما، كما في كلمة «الأدب المنحل والفكر المأجور طريق إلى الانهيار»، التي نشرت في

الملحق في العدد الذي يحمل أرقام [٢٨ - ٢٩ - ٣٠] [شعبان - رمضان - شوال سنة ١٤٠٩] فهي تلخيص لكلمته التي ألقاها في جمع من المثقفين في مدينة جدة بالملكة العربية السعودية سنة ١٩٨٧ م، وقد أخذ الملحق عن جريدة «المدينة» السعودية. وقد تتعد كلماته في العدد الواحد كما في العدد الرابع، فقد نشر له فيه كلمتان الأولى: «تأثير اللغة العربية في اللغات الهندية» [ص ٣]، والثانية: «اليقظة الإسلامية وارتباطها بموقف الأتراك في الحرب العالمية» [ص ١١] وعنه أخذتها مجلة

«المشكاة» المغربية كما سبق أن ذكرنا. وإذا كانت هذه الكلمة في ظاهرها بعيدة عن الأدب، فإن قراءتها تغير هذه الملاحظة. فعنوان المقال هو عنوان قصيدة للشاعر الكبير «محمد إقبال» رحمه الله تعالى، وقد كتبها في لحظة من لحظات اليأس التي تسلمت إلى مسلمي الهند بعد الحرب العالمية الأولى [١٩١٤ م - ١٩١٨ م]، يقول رحمه الله تعالى: نظم الدكتور محمد إقبال في هذه الفترة الحالكة غُرر القصائد، وكلها آية في الشعر والحكمة والحماسة ولكن

قصيدة «طلوع الإسلام» وهي التي عنوانها بـ «اليقظة الإسلامية» تمثل مكانة بيت القصيد، فلا يوجد لها نظير في جودة السبك وقوة التعبير، وجمال الانسجام، وسيلان القرية، وهي سمات لا يمكن نقلها وترجمتها إلى لغة أخرى [ع ٤ ص ١١].

وقد كان سماحته يحب الشاعر الكبير محمد إقبال - رحمهما الله تعالى - حبا جمًا، وقد كتب عنه عدة مرات في هذا الملحق، كما أصدر كتابا قدم فيه للمسلمين بعضا من روائعه.

وما أكثر ما سمعته - رحمه الله - يتحدث عن محمد إقبال. وقد كان حبه لهذا الشاعر الكبير وعشقه لأشعاره يكشف عن روح مفعم بحب الأدب العالي وعشقه، وإدراكه لما يمكن أن يحدثه من أثر في النفوس والقلوب. إن الأدب الرفيع يحدث في النفوس والقلوب ما يحدثه



بقلم الدكتور:

عبد العزيز بن عبد الله

الغيث في التربة الكريمة، وكان يرى - تبعا لإقبال - أن
 لاخير في أدب لايمك تأثير عصا موسى، ومن هنا شغل
 بالأدب ودوره في هذا الزمان، وكان يرى أن للأدب سلطانا
 على النفوس لايعده سلطان، وأن الدعوات العظمى والمذاهب
 الكبرى لايمكن أن تحقق لنفسها سعة وانتشارا وتأثيرا إذا
 لم تستعن بالأدب. وهذه نقطة نفتقدها عند كثير من الدعاة
 في العصر الحديث، وقد قرأت لكثير من كبار الدعاة،
 واستمعت إليهم، واختلطت بهم، ولم أجد عند كثير منهم ما
 وجدته عند سماحة الشيخ، من حب للأدب وعشق له،
 وإيمان بدوره وتأثيره ومن هنا جاء اهتمامه بالأدب
 الإسلامي، حتى أصبح هما من أكبر همومه، وشاغلا من
 أعظم شواغله، ففي سبيله كان يرحل من بلد إلى بلد في
 آسيا وأفريقيا وأوروبا؛ يشارك في المؤتمرات والندوات،
 ويلقي المحاضرات، ويحضر اللقاءات، ويلقي بالأحاديث، على
 كبر سنه وضعف صحته. وكان إذا تكلم تدفق بالسحر
 الحلال فملك قلوب سامعيه، واستولى على عقولهم
 ومشاعرهم وأحاسيسهم، فلفته عالية رفيعة ساحرة، تستمد
 سحرها وتأثيرها من لغة القرآن الكريم والحديث الشريف،
 والبيان العربي الرفيع، وهذا هو «الأدب الطبيعي» وهو
 مصطلح طرحه سماحته ليضعه بازاء «الأدب الصناعي» في
 وقت مبكر، وذلك في كلمته «نظرة جديدة إلى التراث الأدبي
 العربي» التي قدمها إلى مجمع اللغة العربية بدمشق، حينما
 اختير عضوا مراسلا له، ونشره في كتابه «نظرات في
 الأدب» الذي نشرته رابطة الأدب الإسلامي العالمية - مكتب
 البلاد العربية [١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م]، ونشر أيضا في
 مجلة «المشكاة» [١١ ص ٣]، والمقصود بالأدب الصناعي
 هو الأدب الذي يكتبه الأدباء المحترفون من شعراء وناثرين،
 ككتاب الرسائل والمقامات، والمقصود بالأدب الطبيعي هو
 التعبير الذي «يحرك النفوس ويثير الإعجاب ويوسع آفاق
 الفكر ويغري بالتقليد ويبعث في النفس الثقة، وقد يجيء
 هذا في بحث ديني أو كتاب علمي أو موضوع فلسفي أو
 اجتماعي» [نظرات في الأدب ص ٢٢].
 وهذان مصطلحان جديان، لا أعرفهما لأحد من قبله، بهما
 وسع آفاق «الأدب الطبيعي» وقد كانت له - رحمه الله -
 تجربة عملية سابقة في الأدب الطبيعي، ففي إحدى إجاباته

للأديب التركي رسول طوسون قال: «الحقيقة أن عملنا في
 مجال الأدب الإسلامي، كان قبل أن تنشأ هذه الرابطة، وقد
 عنينا بالأدب، لأننا نعتقد أن الأدب من أقوى العوامل هدمًا
 وبناء».

لقد عملنا في مجال الأدب الإسلامي في نطاق ندوة
 العلماء، وقد ألقت كتاب «قصص النبيين» للأطفال في أربعة
 أو خمسة أجزاء، وكتاب «القراءة الرشدة»، ثم ألقت كتاب
 «مختارات من الأدب العربي» وكانت أول خطوة جريئة في
 سبيل تقديم الأدب العربي في شكله الطبيعي غير المصطنع.
 [المشكاة ع ١٤ ص ١٢٢].

وبهذه الرؤية يدخل - رحمه الله تعالى - ساحة الأدب
 الطبيعي من أوسع الأبواب، وتدخل آثاره كلها - وقد قرأت
 منها الكثير - في هذه الساحة، ساحة الأدب الطبيعي، وبهذا
 لا يكون - رحمه الله - منظرًا للأدب الإسلامي فحسب، وإنما
 يكون أدبيا إسلامياً أيضاً.

ومن المصطلحات التي حدد دلالتها مصطلح «أدب الدعوة»،
 وهو مصطلح طرح ليكون بديلا لمصطلح «الأدب الإسلامي»،
 وهناك كتب صدرت تحمل على غلافها هذا المصطلح، وهناك
 مناهج دراسية في بعض الجامعات الإسلامية تقف تحت
 مظلة هذا المصطلح، ولكن سماحته - رحمه الله - لم
 يستخدم هذا المصطلح ليكون بديلا لمصطلح «الأدب
 الإسلامي» فعنوان الكتاب هو «روائع من أدب الدعوة في
 القرآن والسيرة» وهو يضم مجموعة محاضرات في مناهج
 الدعوة وآدابها، ألقيت في «المعهد العالي للدعوة والفكر
 الإسلامي» التابع لجامعة دار العلوم - ندوة العلماء سنة
 ١٤٠٠ هـ، وهي تدور حول أساليب الدعوة إلى الله
 ولغتها. ومن نماذجها دعوة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة
 والسلام، وقد قدم لها نموذجين، وقدم مثلها من دعوة
 سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، ثم أمثلة من دعوة
 سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، وحكمته النبوية..
 وهكذا فهي تدور حول أساليب دعوات الأنبياء والمرسلين
 وعباد الله الصالحين ولا تتجاوزها، وهكذا نرى أن مصطلح
 «أدب الدعوة» عند سماحته يختلف في دلالة عنه عند غيره
 ممن يقفون تحت راية هذا المصطلح.

■ ■ ■

وإذا رجعنا إلى مصطلحي «الأدب الطبيعي»، و«الأدب الصناعي» اللذين طرحهما منذ وقت مبكر فإننا نرى أنه يدخل بهما دائرة صك المصطلحات الجديدة الدالة، فهو - رحمه الله تعالى - لم يكن يستخدم المصطلحات المتداولة، وإنما كان يجتهد في إبداع المصطلح الذي يتميز به الأدب الإسلامي، ويجتهد في تحديد دلالته، حتى لا يلتبس على الناس فيستخدم في غير موضعه.

ومن ذلك أنه لم يكن يتوسع في استخدام مصطلح الأدب الإسلامي، فيطلقه على كل أثر جيد، فمن شروط دخول النص الأدبي دائرة الأدب الإسلامي أن يكون قائلة مسلما، وقد سأله الأستاذ رسول طوسون: «وإذا كان هناك أديب غير مسلم كتب شيئا لا يخالف الإسلام هل يكون أدبه إسلاميا؟» فأجاب - رحمه الله - «إذا كان مؤسسا على مبادئ شريفة، وإذا كان تعبيرا عن فكرة صحيحة نقول: هذا أدب جيد، ثم سأله: هل نقول: أدب إسلامي؟ فأجاب - رحمه الله - لا. لا نقول أدبا إسلاميا، نقول: إنه أدب صالح [المشكاة ع ١٤ ص ١٢٣ - ١٢٤].

فنحن هنا أمام مصطلحين مترادفين: «أدب جيد» و«أدب صالح»، فالأدب هنا موصوف بصفة مدح في كل مصطلح، ويمكن أن يوضع بجوارهما: «أدب حسن»، فهو يقوم بالدور نفسه، ويحقق الغاية نفسها. وهي مصطلحات لا تثير أحدا، لأنها كلها صفات مدح. لكن وصف أدب ما بأنه «أدب غير إسلامي» ليست كذلك، ومهما يكن بعد الأديب المسلم عن الإسلام فإن وصف أدبه بأنه غير إسلامي يستثيره.

ومن المصطلحات التي يمكن أن تكون مقبولة إذا أطلقت على الأدب الحسن الذي يكتبه غير المسلمين مصطلح «الأدب الأخلاقي» وقد ذكر سماحته - رحمه الله - أن الأدب في مصطلح الإسلام وفي اللغة العربية لا ينفصل عن الخلق، واللغة العربية تمتاز بأنها اللغة الوحيدة التي أطلقت على البيان المشرق والإنشاء والشعر كلمة «الأدب»، ولذلك ثبت عن الرسول - ﷺ - في حديث صحيح: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»، ولذلك ترون في ديوان الحماسة أبوابا في الحماسة والثناء والهجاء والمدح والأدب، ويأتي تحت الأدب مكارم الأخلاق والمروءة والبطولة والفروسية والإيثار

والتعاطف، كل ذلك مندرج تحت باب «الأدب» [المشكاة ع ١٤ ص ١٢٣].

والأدب بالمعنى الأخلاقي، ممارسة وسلوك، والأديب الصادق هو الذي يكون أدبه تعبيرا عن أخلاقه، ويكون سلوكه ترجمة لأدبه، والمثل الأعلى في ذلك هو - رسول الله ﷺ - فقد زكاه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ووصفته السيدة عائشة رضي الله عنها بأنه «كان خلقه القرآن» وقد كان شيخنا نموذجا من الذين تتطابق أقوالهم وأفعالهم، فلم يكن - رحمه الله - يتميز عن أصفيائه وأتباعه بشيء، لافي الماكل والمشرب، ولا في المجالس والمنتديات، وكان يحسن الاستماع إلى كل أحد مهما كان، وكان يقدم تلاميذه. في اللقاءات والمنتديات ويشجعهم على القول، ويسر بما يقولون، وقد لمست ذلك بنفسني في المدينة المنورة، وفي مدينة استانبول بتركيا أكثر من مرة، وقد كان لي نصيب من عنايته ورعايته ودعواته - رحمه الله تعالى - ففي لقاء سريع بالنادي الأدبي بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام أجلسني معه على المنصة، وقد كان عليها أيضا د. عبدالقدوس أبوصالح والدكتور عبدالباسط بدر، وشجعني على الكلام في هذا الجمع الحافل، وقد كان النادي مكتظا بالحضور، مع أن اللقاء لم يعلن عنه إلا في اليوم نفسه.

وأما المرة الثانية فقد كان في آخر مجلس للأمناء حضره قبل وفاته - رحمه الله تعالى - وقد كان ذلك في العاصمة الأردنية، وكنت قد تخلفت عن الحضور بسبب نزيف المخ الذي أدخلني في غيبوبة استمرت فترة طويلة ثم أجريت لي عملية في القلب لتبديل بعض الشرايين التاجية، ففي الوقت الذي انعقد فيه مجلس الأمناء في «عمان» كنت أنا في مستشفى عين شمس التخصصي بالقاهرة غائبا عن الوعي، وقد علمت بعد ذلك أن سماحته - رحمه الله تعالى - دعا لي وأفاض في الدعاء، وأمن الحاضرون على دعائه، فكانت هذه أعظم هدايا لي - رحمه الله تعالى - وعوضنا فيه خيرا وجمعنا وإياه في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. آمين.

